

# الرسالة المُجبرة

# لأَفْئَدَةِ الْمُتَعَثِّرَةِ

من تأليف : ضياء الدين ملوك 1447

## المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، أما بعد:

فإن من أعظم ما يحتاجه المسلم في زمن كثرة الفتن وعمت الغفلة وزادت فيه الحن: فقهٌ يُصِّرِّه بحقيقة منزلته، ويرشده إلى سبيل عبادة خالقه، ويعينه على تمييز العرقانات، ويبيّن له مسببات محنته ورضاه من مجلبات غضبه وسخطه.

وقد منَّ الله علىَّ بجمع ما يسَّره لي من علم وما أناره لي من بصيرة في هذا الكتاب، ليكون - بإذن الله - جلاءً وجبراً لكسور القلوب وأمراضها، ومعيداً النفوس إلى فطرتها، وحصناً منيعاً - بعد مشيئة الله - من نزغات الشيطان ووساوس النفس وشروطها كما اني حاولت قدر المستطاع تسهيل كلماته واختصار جمله ومقاصده كأساس يرجع له حين ضعف النفس وتمكن الشيطان منها.

فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وإن أحسنت فما هو إلا مخض فضل من الله وحده سبحانه جل في علاه.

## الجزء الأول: التأسيس

### الباب الأول: اعرف منزلك

اعلم - رحمك الله - أنك لست إلا عبداً خلقه الله من ماء مهين،  
 بدايته من نطفة تُمنى ،ونهايته جنة تفني وإن حياتك ومماتك، وروحك  
 وجسدك، وسمعك وبصرك، ورزقك وناصيتك بين يديه سبحانه وتعالى،  
 يفعل بك ما يريد. إن شاء بعظيم رحمته رحمك، وإن شاء بتمام عدله  
 أخذك بذنبك، وأنه هو القاهر فوق عباده سبحانه جل وعلا.  
 فإن اعتقدت بهذا الإعتقاد، علمت مقدار ضعفك ووهنك ، وأنك لا  
 تملك لنفسك ضرراً ولا نفعاً، وتحقق في قلبك توحيد الله وتقديره وتعظيمه،  
 وصدقت الجوء إليه، وصرت كلما نزلت بك مصيبة قلت: "مالك

يتصرف في ملكه كيف يشاء" ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ {1}

وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية:

"الصابرون هم الذين فازوا بالبشرارة العظيمة والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن

## 1. سورة البقرة 156

أو كليهما مما تقدم ذكره. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء. فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين بماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه. بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك. ومع أننا مملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجازي كل عامل بعمله. فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجراً موفوراً عند الله، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر. فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب

الصبر". {2}

فإن حققت المطلوب منك فالابلاء - صابراً عند المحن وشاكرًا عند النعم - فأبشر بخيري الدنيا والآخرة، وهو ما دلت عليه الآية التي تليها:

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾ {2}

فتثال مطلوب كل إنسان في الدنيا وهو طمأنينة النفس واستقرارها،

## 2. سورة البقرة 157

3. تفسير السعدي & تيسير المنان - ص 75

وال توفيق والتيسير والبركة في كل امور دنياك علاوة على تكفير الذنوب ورفعه الدرجات في آخرتك، كما قال ﷺ: «من كانت الآخرة همة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأنته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همة جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له». {4}

وإن من مسببات السخط وانعدام الصبر على المحن، هو الإعتقاد الخاطئ لحياة الإنسان في الدنيا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [5]

فقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ في شدة وطلب معيشة. وقال عكرمة: في شدة وطول. وقال قتادة: في مشقة. {6}

وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) متى الراحة يا إمام؟ قال:  
عند أول قدم توضع في الجنة. {7}

4. صحيح الترمذى 2465

5. سورة البلد: 4

6. تفسير ابن كثير سورة البلد الآية 4

7. كتاب طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ت الفقي - ج 1 ص 293

فما دامت روحك بجسده فأنت لا زلت في دار جهاد واجتهاد. وكلما  
رسخ هذا الأمر عندك طابت نفسك، واطمأن قلبك، وارتاح عقلك،  
وأيقنت أن كل ما فاتك من لذات الدنيا فهو ملاقيك بأحسن وأكرم  
منها في آخرتك.

الباب الثاني: سبب خلقك

الفصل 1: العبادة

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ) {8}

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) {9}

وقال تعالى (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغْوَىٰ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَّةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) {10}

8. [سورة الذاريات 56]

9. [سورة البقرة 21]

10. [سورة النحل 36]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾) [سورة الحج 77]

وقال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَمَنْ أَفَلَّ تَتَّقُونَ) [سورة المؤمنون 32]

وقال تعالى: (﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)

[سورة النساء 136]

ولكن قبل العبادة يأتي أمر لا يقل أهمية، بل هو اصل العبادة، وهو العلم الشرعي وطلبه، فكيف يتقي الله من لا يدرى ما يتقي، وكيف يعبده من لا يدرى كيف يعبده، فلا بد للمسلم ان يتعلم دينه ليرفع الجهل عن نفسه ويعبد الخالق حق عبادته وهنا يلتفت الى امر مهم وهو من يؤخذ منه هذا العلم.

فقال ﷺ: (إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضَلِّينَ) {صحيح الترمذى}

{2229}

وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبضُ الْعِلْمَ اِنْتَزاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتُرْكِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رَؤُوسًا جُهَّالًا ، فَسُعِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) {أخرجه الترمذى (2652) واللفظ له، وأخرجه البخارى (100)، ومسلم (2673)} باختلاف يسير

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَفَرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا {64} } خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {65} } يَوْمَ ثُقَلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ {66} } وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلَّنَا السَّبِيلَ {67} } رَبَّنَا إِنَّا إِنَّمَا ضِعَفْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا)

[سورة الأحزاب 64 - 68]

فعديد من العوام يعتقد ب مجرد اتباعه فتوى شخص ملتحي أو يسمى نفسه شيخاً بهذا تبرئ دمته، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك

فليس كل من هب ودب يؤخذ منه الدين، بل يؤخذ من علماء أهل السنة والجماعة الذي لا ينطقون بحرف إلا أتبعوه بقال الله قال رسوله.

كما قال ﷺ: (تركتُ فيكم أمرينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكُتمْ بِهِما : كتاب الله وسُنَّة نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) {التمهيد 331/24}

### الباب الثالث: حسن الظن

ثم اعلم – رحمك الله – كما ان سوء الظن من جنس عمل المنافقين ، فإن حسن الظن بالله من صفات المؤمنين

قال تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرٌ<sup>١</sup> وَقَالُوا هَذَا إِفْلَكٌ مُّبِينٌ<sup>٢</sup>)

وقال الامام السعدي رحمة الله عليه ، في تفسير الآية:

ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } أي: ظن المؤمنون بعضهم بعض خيرا، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل، { وَقَالُوا } بسبب ذلك الظن {

سُبْحَانَكَ } أَيِّ: تَنْزِيهَا لَكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَعَنْ أَنْ تَبْتَلِي أَصْفِياءَكَ بِالْأَمْرِ الشَّنِيعَةِ، { هَذَا إِفْلُكُ مُبِينٌ } أَيِّ: كَذْبٌ وَبَهْتَ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْيَاءِ، وَأَبْيَنِهَا. فَهَذَا مِنِ الظُّنُونِ الْوَاجِبِ، حِينَ سَمَاعِ الْمُؤْمِنِ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ، أَنْ يَرْئَهُ بِلِسَانِهِ، وَيَكْذِبَ الْقَائِلَ لِذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ صَحِيحٍ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ. { صَحِيحٌ مُسْلِمٌ } 2877

فَمَا رَزَقَ اللَّهُ عَبْدًا خَيْرًا مِنْ حَسْنِ الظُّنُونِ بِاللَّهِ، فَهُوَ السَّعِيدُ حَقًّا وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ لَا يَدْارِيَهَا نِعْمَةٌ، كَيْفَ لَا وَهُوَ صَلْبٌ خَصَالُ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ مَا يَقِيسُ بِهِ الْمَرءُ كَمَالُ إِيمَانِهِ مِنْ نِقْصَهِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطَى عَبْدُ مُؤْمِنٍ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حَسْنِ الظُّنُونِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يَحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظُّنُونَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظُنُونَهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ" { كِتَابُ حَسْنِ الظُّنُونِ بِاللَّهِ لَابْنِ أَبِي الدُّنْيَا - ص }

{ 96 }

وَقَالَ تَعَالَى وَاصِفًا حَالَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ : (أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْنَّاسُ إِنَّ الْنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

{ ١ } فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَأَلَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)

[سورة آل عمران ١٧٣ - ١٧٤]

فرغم حصارهم وضعفهم إلا أنهم أحسنوا الظن بالله، فكان الجزاء أن نالتهم رحمته الواسعة ونعمته الفاضلة وأجارهم من كل سوء، فمن أحسن الظن به لن يرد رجائه وسيفتح له أبواب رحمته ويفسر له إذا استغفر ويؤتى سؤله إذا سأله ويجب دعائه إذا دعاه ويعيده مما تعود منه وينزل عليه سكينته ويستر زلتة ويعطيه حاجته وطلبه ،ولكن لابد من الامتحان والاختبار قبل ذلك ليميز الله الصادق من هو دون ذلك

#### الباب ٤: أخطاء منتشرة حول حسن الظن

البعض يربط التمادي في المعاصي بحسن الظن بالله وهذا من جهله وضعف علمه بالله عز وجل ، كمثل قول بعض الحمقى: "أكثر ما استطعت من المعاصي اذا كان القدوم على كريم" وهذا من أشر الأقوال فقد ورد في أثر صحيح عن أبو سليمان الداراني يقول: «مَنْ حَسْنَ ظُنْهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ» {كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص 40}

فإن حسن الظن بالله يستلزم اجتناب نواهيه والإتيان بأوامره ، وهو أكثر ما يزيد خشية الله وتقديره .

فكما عرفت الله من اسماءه وصفاته حسن ظنك به وزدت خشية من غضبه وسخطه كما قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ وَالدُّوَّابُ وَالْأَنْعَمُ مُخْتَلِفٌ أَلَوْلَوْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)

[سورة فاطر 28]

## الجزء الثاني: المعرقلات

### الباب الأول: الابتلاء

ومن أجل ما سمعت عن الابتلاء هو قول شيخنا الطريفي - حفظه الله - : وهذا نقول ان الله عز وجل اذا انزل بلاء على الانسان لا يعني انه لا يحب العبد ولكن الله عز وجل بينه وبين عباده عقد ان الدنيا ليست لك، إن اصبتك فباذن الله عز وجل هو اختبار وابتلاء وان سلمك الله عز وجل في ذلك فاحمد الله سبحانه وتعالى واما الكرامه عند الله جل وعلا هي سلامه الدين، ان يحفظ الله عز وجل لك دينك، واذا انتكس الانسان عند اي نوع من البلاء فهو إشارة على شيء من المنة، فكأنما يقول الم تبني نفسك ومالك فلماذا تراجعت وانتكست اذا انت لست صادق ببيعتك لست بصادق في بيعتك. انتهى

ولكن للابتلاء مسببات وهي:

### الفصل 1: الذنوب

فإن الله من تمام كرمه وعدله أنه لا يغير نعمته التي أنعمها على عبده إلا إذا صدر من العبد ذنب واتخذ الخطوة الأولى من تلقاء نفسه.

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال﴿[الرعد: 11]

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُلُ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُنَيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 8-10]

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشوري: 30]

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: 79]

وقوله تعالى: ﴿يَنَادُونَهُمْ أَمَّا نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبَتُمْ وَغَرَّتُمُ الْأَمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: 14]

رغم أن هذه الآية الأخيرة نزلت في المنافقين إلا أنه يُؤخذ منها عبرة عظيمة وموعظة بلغة.

تفسير ابن كثير:

"﴿يُنَادِوْهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجماعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلـى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبَّتُمْ وَغَرَّتُمُ الْأَمَانِي﴾ قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت".

وحتى بالنظر إلى من قبلنا، فما أهلك قوم لوط، وما مسخ أهل السبت إلى قردة، وما أغرق فرعون وقومه وقوم نوح، وما حُسف بقارون، وما نزل العذاب على قوم عاد وثمود، وما أهلك قوم شعيب - لولا ذنوبهم وعصيائهم لأوامر الله واتخاذهم الخطوة الأولى من تلقاء أنفسهم.

ثم إن هذا الأمر لم يقتصر على عامة العباد فقط، بل حتى أنبياء الله وخاصته لم تغتهم نبوتهم عن الله شيئاً. فآدم عليه السلام طُرد من الجنة بذنب، وكذا يونس عليه السلام ابتلעה الحوت ودخل في بطنه لأنـه عصى أمر الله.

فقال تعالى واصفاً فعل آدم وزوجه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه: 121]

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَالْتَّقْمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ﴾ [سورة الصافات: 142-144]

ثم إنه سبحانه جل وعلا، من تمام رحمته ولطفه بعباده، أنه تاب عليهم وأرشدنا بقصصهم لنتعظ. فذكر لنا قوماً عصوه فناهم عقابه، وقوماً أذنوا فتابوا فتاب عليهم.

وزيادة على ذلك، سبحانه هو الكريم، لا يغفر لهم فحسب، بل يزيد على ذلك من فضله كما ظهر في تكملة الآيات. قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ \* فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: 145-148]

ونفس الشيء تكرر مع آدم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37]

جمع كبير من البشر يعتقدون مباشرة فور توبتك ستنقلب حياتك إلى جنة دنيوية، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك. فقد قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 2-3]

إذا تبت وأنبت إلى الله فاستعد لابتلاءات فيما تبت منه، ليمحص الله الصادق من الكاذب.

ثم إن محمد ﷺ، وهو خيرخلق وأكرمهم عند الله، لم يسلم من ابتلاءاته سبحانه. فقد أودي من قومه أشد الأذى ورمي بالحجارة، وسب وشتم، وقدف عرضه، وأتهم بالسحر والصرع، وأيوب عليه السلام ابتلي أشد البلاء في بدنها. ونوح ابتلي بعقوق ابنه وتکذیب رسالته. ولوط أودي في ضيفه وعصته زوجه. ويوسف أدخل السجن ظلماً وحرم من أبيه.

فكليما كان الإنسان أصلح، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله؛ كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ [الفرقان: ٣١].

وقال ﷺ إنا كذلک ، يشتدد علينا البلاء و يضاعف لنا الأجر فقال : يا رسول الله ! أئ الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الصالحون ، و

قد كان أحدهم يُتلى بالفقر ، حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها ، و يُتلى بالقُمل حتى يقتلها ، و لأحد هم كان أشد فرحاً بالبلاء ، من أحدكم بالعطاء {صحيح الأدب المفرد 395} فهذه هي سنة الله الثابتة التي لا تتغير في خلقه .

نَسَأَ اللَّهُ التَّبَات

**الفصل الثالث: فضل البلاء على أهله**  
 فرغ ما تراه من عظيم المصائب التي تنزل على العبد المؤمن، والتي قد يرق فؤادك لسماعها ويتعب عقلك بالتفكير فيها - فما أدرك بعيشها!  
 - إلا أنك تجده صابراً وراضياً، بل وحامداً الله أنه جعله في طريق مَرَّ منه أنبياء الله ورسله،

بل وجمع من السلف " كانوا يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلاية، ولأن من كان أشد بلاءً كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى"

{كتاب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصايب ج 5 ص 256}

وهذا كله من رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ومن عظيم لطفه بعباده أنه يقذف في قلب المؤمن المخلص المبتلى شيئاً من الاطمئنان، ويخلع من قلبه حب الدنيا وزخرفها، ويراهما له على وجهها الحقيقي.

كما وصفه شيخ الإسلام رحمه الله حين هددوه إذا لم يتراجع عن قول الحق، فقال لهم: "ما أنتم فاعلون بي؟ فإن سجني خلوة، وتعذبي جهاد، وقتلي شهادة."

فسبحان الله حين قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا هَلَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: 286]

وحين قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 43]

وحين قال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 156]

وكذلك قوله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [صحيح مسلم: 2999]

وكذلك قوله ﷺ: «مَا يَصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هُمْ وَلَا حَزْنٌ وَلَا أَذْى وَلَا غُمٌّ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكِهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [صحيح البخاري: 5642]

وقال ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة» [صحيح ابن حبان: 2913]

فاعلم - رحمك الله - أن البلاء من سيم الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الدِّينِ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَلَزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ۝ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214]

الباب الثاني: انتكاسة الصالحين

### الفصل الأول: معناها

الانتكاس عند كثير من العوام سطحي جدًا، فالاكتسية يظنون أنه من كان على رشاد ثم انغرر في المعاشي واللذات وترك الذكر والعبادات وهذا المنتكس.

ولكن هنالك انتكاسة أخرى خفية يغفل عنها الغالب، وهي أشد خطراً من الانتكاسة الكبرى، والتي أسميتها انتكاسة الصالحين، وهي الرجوع أو التقليل من العبادات، وشرها يكمن اذا لم تنتبه لها، فهي من خطوات الشيطان

فإن كنت أمس تقيم ليك وتصوم نهارك وتحافظ على أذكارك ووربك، والنواول عندك كمثل الفرض، واليوم ما بقي إلا الصلوات الخمس التي بحد ذاتها قد تقصير فيها وتستهين بطلوع وقتها - فهذا انتكاس.

وخطورته هي أنك لا تستشعر انتكاستك، بل وتظن أنك على الطريق الحق، على خلاف الانتكاسة الكبرى التي تكون ظاهرة ومحسوسة وأثرها على نفسك غليض.

فتظن أنك سليم ولكنك تُطبع على نار هادئة، تَقُودُك نحو الهالك، فإذا ما تندى نفسك قبل سقوطها، وإنما تتجاهلها فتنتهي بك نحو الانتكاسة الكبرى.

فإن الشيطان والنفس الأمارة بسوء لا يأتيانك بالكبيرة، فهم يعلمون عظمتها في قلبك، بل يهبطان معك من ترك المستحبات إلى الانقضاض من السنن، إلى الاستهانة بالواجبات والفرض !! ومن ثمما إلى موت القلب نسأل الله العافية.

## الفصل 2: الوقاية منها

سبحان الذي جعل في القرآن شفاء وبيان لكل شيء، قال تعالى : (وَإِمَّا يَنْرَغَّبَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَنِ نَرْغُ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {1} إِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ)

[سورة الأعراف 200 - 201]

فأخبرنا تعالى بالحل وهو الاستعاذه بالله ، فهي خير وقاية ودواء معًا .  
وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية:

في أي حال يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ أَيْ: تحس منه بوسوسة، وتشيط عن الخير، أو حدث على الشر، وإيعاز إليه. فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ أَيْ: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سَمِيعٌ لما تقول. عَلِيمٌ بِنِيَّتِكَ وَضُعْفِكَ، وقوه التجائلك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ إِلَى آخر السورة.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامه المتقيين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محمر أو ترك واجب - تذكر من أي باب أتي، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. انتهى

ثم ان أكثر ما يثبت القلب ويزيد عزيمته وإيمانه ويبعده عن الانكماش والغفلة، هو دروس العلماء ومحاضراتهم ومحالس العلم فان أكثر واقواهم إيماناً - وهم صحابة رسول الله ﷺ - كانوا اذا خرجوا من مجلس مع محمد ﷺ وانخرطوا بالحياة قل إيمانهم

فعن حنظلة رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأُوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأُوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدْوُمُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشَكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. {صحيح مسلم 2750}

فأبو بكر الذي قال عنه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به

{الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 61} واشتكتى انه اذا  
فارق مجلس العلم - الذي هو مجالسة الرسول ﷺ - نقص ايمانه عن  
ما كان عليه، فما ادرك بنحن الضعفاء ، نسأل الله الثبات

والامر الثاني هو القراءة في سير النبلاء والصالحين. فرغم كبر همهم وكثرة عبادتهم ومبلغ علمهم، إلا أنهم أشد الناس خوفاً من الانتكاس والنفاق ومن حبوط العمل.

فبالنظر إلى حا لهم تستوعب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ الْوَانُهُ كَذُلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: 28]

وبهذا - بعد مشيئة الله - تثبت على الدين الثبات العجيب، وتسع بصيرتك وتظهر لك حقيقة الحياة. والموفق حقاً هو من أنعم الله عليه بهذه النعمة التي لا تعاد لها نعم الدنيا بأسراها.

الباب الثالث: سوء الظن  
اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن بالله ما هو إلا من جنس أعمال المنافقين،

فقد قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة الفتح: 6]

وقال ابن القيم رحمه الله عن هاته الآية : " وَظَنَّ بِهِ مَا يُنَاقِضُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الظَّانِينَ بِهِ ظَنَ السَّوْءِ بِمَا لَمْ يَتَوَعَّدْ بِهِ غَيْرُهُمْ، " {الداء والدواء ص 138}

وقال تعالى واصفاً ضعفاء الإيمان المتخلفين عن الجهاد مع الرسول ﷺ :

(بَلْ ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقِلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى آهَلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ دَلِيلَكُمْ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا {12} } وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا)

[سورة الفتح 12 - 13]

قال الإمام السعدي رحمه الله:

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: { يَقُولُونَ بِالْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي

في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء وقال تعالى ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأْكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

وقال الإمام السعدي رحمه الله عليه ، في تفسير الآية ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ ﴾ الظن السيء، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. ﴿ أَرْدَأْكُمْ ﴾ أي: أهل لكم ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحققت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة. ﴿ تفسير السعدي سورة فصلت - آية 23 }

ثم اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن من تلبيس الشيطان لل المسلمين كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [سورة آل عمران 175] وكذلك قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسْعُ عَلَيْهِمْ) [سورة البقرة 268]

فالخوف الشديد من المستقبل وتقلبات الحياة وما تخفيه في طياتها ، كل ذلك من سوء الظن بالله الذي يقذفه الشيطان في قلب المسلم كي يكدر عليه يومه وبهذا تقل عباداته وتزيد غفلته.

#### الباب الرابع: احتقار النفس واستصغرها

قال ﷺ: (لا يَحْقِرَنَّ أَهْدُوكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ فِيهِ مَقَالٌ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا مَنَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مَخَافَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّاهُ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخَافَ!)

...

#### الباب الخامس: الهم والحزن

...

### الجزء الثالث: المسببات

## الباب الأول: محلات حب الله ورضاه

### الفصل 1: طرق نيل محبة الله:

ان من لطف الله بعباده ومن رحمته الواسعة ،أنه بين لعباده الطرق المؤدية

إلى محبته وبين لهم ما يناله العبد من عظيم مكاسب اذا نال محبته

فقال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ )

وقال الامام السعدي رحمه الله:

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، و نتيجتها، وثمارتها، فقال

{ قل إن كنتم تحبون الله } أي: ادعitem هذه المرتبة العالية، والرتبة التي

ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها،

وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في

أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع

الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه،

ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبًا

للله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل

على عدمها وأنه كاذب إن ادعاهما، مع أنها على تقدير وجودها غير

نافعه بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم

من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك  
نقص. {تفسير السعدي}

ثم بين لنا رسوله الكريم ﷺ في حديث قدسي : "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى  
لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرَبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٍ يَبْشِّرُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا  
أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَرَأُ عَبْدٌ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،  
فَإِذَا أُحِبَّتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ  
الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْنِي لَأُعْطِينَهُ، وَلَئِنْ  
اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ  
الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". { صحيح البخاري 6502 }

## الفصل 2: ثمار محبة الله

قال ﷺ : إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبْهُ،  
فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا  
فَأَحِبْهُهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. { أخرجه  
البخاري (6040) }

وهنا ملاحظة بسيطة: وهي انه قد يخطر ببال أحد الناس بعد سماع  
الحديث ، ان القبول شامل لكل بني آدم ولكن الحقيقة على خلاف  
ذلك ، فالقبول المعنى هو محبة أهل الحق وأهل الصلاح وأهل الإيمان

والتوحيد لك ، والدليل قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنَ وُدًّا)

[سورة مریم 96]

بل إن بعض أهل الفساد والمعاصي لك ، هي شيء محمود فقد قال تعالى (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حِجَابًا مَسْتُورًا {45} وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَادَانِهِمْ  
وَقُرْآنًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَىٰ أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا)

[سورة الإسراء 45 - 46]

وقال تعالى (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَاءَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُرُونَ)

[سورة الزمر 45]

فإن من فطرة الله بالعباد أنه من تقابلت وتشابهت قلوبهم ، تحابوا فيما بينهم ورأى كل واحد منهم الآخر مقبول ومحبوبًا.

نعود إلى موضوعنا وهو ثمار حب الله؛ فإن من اعظم الشمار وأجلها أن يوفقك للآخرة كما قال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ  
بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي  
الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحْبَبَ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفَقَهُ، وَخَافَ الْعُدُوَّ أَنْ

يُجاهدَه، وهاب الليلَ أَن يكابدَه، فلِيُكثِرْ مِن قُولٍ : سبَّحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنْ مُقَدَّمَاتٌ مُجْنِبَاتٌ وَمُعَقِّبَاتٌ، وَهُنَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ {السلسلة الصحيحة 482/6}

وَكَذَلِكَ يَحْمِيهُ فَالدُّنْيَا مِن كُلِّ مَا يُضِرُّ دِينَهُ كَمَا قَالَ ﷺ: إِذَا أَحْبَبَ اللَّهَ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظْلِمُ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ {2036} وبعد كل هذا يرزقه الله تعالى أعظم نعمة قد يتحصل عليها انسان في هاته الدنيا وهي العلم الشرعي فقال ﷺ: (مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ)، {صحيح البخاري 71}

فليست كثرة المال والحياة البهية علامه على حب الله للعبد، ولو كان كذلك لما كان الكفار والملحدون متمكنين في الدنيا، فالله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الإيمان إلا من يحب، فأول علامات محبة الله لك: أن الله تعالى جعلك مؤمناً، ولم يجعلك كافراً، فإذا رأيت نفسك تسير في طريق الصالحين، وتنهج منهاجهم، وتحب مجالستهم، وتعمل كأعمالهم، فاعلم أن الله عز وجل قد أحبك، بأن أنار بصيرتك نحو طريق الحق، فالزمه واعض عليه بالنواجد، وأما إذا رأيت خلاف ذلك، فاعلم أنك تسير في طريق الشقاء والنار، والعياذ بالله.

## الباب الثالث: التقوى

### الفصل الأول: تعريفها

قال أبي عبد الله التونسي: "حقيقة التقوى عبارة عن امتناع المأمورات واجتناب المنهيّات". {12}

ومن التعريفات الجميلة للتقوى التي ذكرها بعض المؤخرين: "التفوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ل يوم الرحيل". {12} وقال بن باز رحمه الله: "تفوى الله سبحانه، هي عبادته، بفعل الأوامر وترك النواهي عن خوف من الله وعن رغبة فيما عنده، وعن خشية له سبحانه، وعن تعظيم لحرماته، وعن محبة صادقة له سبحانه ولرسوله". {12}

### الفصل الثاني: فضلها

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائمًا، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: 2] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن همت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج. {13}

وقال تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [سورة آل عمران 76]

12. كتاب التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحواها [عمر سليمان الأشقر] الصفحة من 9 إلى

وقال تعالى: (﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا الْسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾) [سورة آل عمران 133]

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ) [سورة الحجر 45]

وقال تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا) [سورة مريم 85]

وقال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسِّرْنَا بِإِلْسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَّا)

[سورة مريم 97]

وقال تعالى: (وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ)

[سورة الشعرا 90]

وقال تعالى: (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)

[سورة ص 49]

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)

[سورة الدخان 51]

وقال تعالى: (وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ)

[سورة ق 31]

وقال تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا {1} حَدَّا إِقَ وَأَعْنَبَا {2} وَكَوَاعِبَ

{3} وَكَأسًا دِهَاقًا {4} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا وَلَا كِذْبًا {5}

(جَزَاءً مِّنْ رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا)

## [سورة النبأ 31 – 36]

الباب الثاني: مسببات غضب الله وسخطه  
 فان كل ما ثبت فيه وعید أو جاء بالنهي ففعله موجب لحلول غضب  
 الله بالعبد، وحاولت في هذا الباب جمعها  
**الفصل 1: الكفر والشرك**

فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا)  
 [سورة النساء 48]

وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَارِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُوَ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوَّلَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)  
 [سورة المائدة 72]

وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة المائدة 73]

وقال تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الْطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَاحِقٍ)

[سورة الحج 31]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَن يَكُفُرُ بِاللَّهِ وَمَلِئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمَ أَلَاخِرٍ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)

[سورة النساء 136]

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا)

[سورة الأحزاب 57]

ثم ان اعظم الكفر وأشدده وأشنعه هو سب الله أو سب الرسول أو سب كتابه، ومن أقوال الطريفي حفظه الله : ”سب الله تعالى كفر فوق كفر الأصنام.“

أي : إن عابد الأصنام إنما عظم الأحجار ورفعها حتى تساوي الله لا أنه أنقص قدر الله حتى ساواها بالأحجار.

فوالله وتألم الله أن هذا الباب عظيم، ومن شدة خطورته لست أهلا لأنخوض فيه، مخافة ألا أوفي حقه، ولكن أردت أن أسلط الضوء عليه

وأنصحكم يا أختواه الإلتفات والنظر إلى كتاب "تعظيم الله تعالى وحكم شاته" لفضيلة الشيخ عبد العزيز الطريفي وكذا كتاب "الصارم المسلول في شتم الرسول" لشيخ الإسلام ففيهما من النفع الشيء العظيم.

ثم ان للإسلام نواقض من آتهاا فقد كفر

قال الشيخ ابن باز - رحمة الله عليه - في نواقض الإسلام

**الأول:** من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء:48] وقال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ [المائدة:72] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

**الثاني:** من جعل بينه وبين الله وسائل يدعوههم ويأسأهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعا .

**الثالث:** من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صلح مذهبهم كفر .

**الرابع:** من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغية على حكمه، فهو كافر .

الخامس: \*\* من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد: 9]

السادس: \*\* من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبه: 65، 66]

السابع: \*\* السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ [البقرة: 102]

الثامن: \*\* مظاهره المشركين وتعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51]

التاسع: \*\* من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر. قوله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران: 85]

العاشر: \*\* الإعراض عن دين الله لا يتعلم ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرِ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ [السجدة: 22] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الم Hazel والجحود والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه،

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى.

ويدخل في الرابع أيضاً: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحسن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

} نشر هذا الموضوع في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض العدد السابع الصادر في الأشهر (رجب وشعبان ورمضان و Shawwal عام 1403هـ)، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 1 / 130)

} .

## الفصل الثاني: الذنوب الثابتة بالوعيد

العديد من عوام المسلمين يعصي الله وقد يتخذ ذلك روتيناً وهو لا يدرى بأن هذا الأمر محرم في الشرع،  
 كي لا اطيل، فيه قمت بتأليف كتاب بإسم "جامع ذنوب العبيد التي ثبتت بالوعيد" وهو كتاب علمي حاولت جمع فيه كل المعاichi التي جاءت بنص من القرآن والاحاديث الصحاح ويكون موجه ومرجعاً لعامة المسلمين

## الباب الثالث اثر المحيط على الجوارح

كانت للعرب قديما مقوله تردد في كل مكان ومقال، وهي ان الانسان ابن بيئته، ولكن هنالك ما هو ادق منها وأشمل، وهي: المرء يفيض بما ملء به سمعه وبصره.

فمن اكثر السماع والجلوس مع أهل المعاشي تسبع فكره بنجاست افعالهم ولو كان مجاورا لابي بكر وعمر، فتتغير عدسة عيناه الى مala يحمد عقباه، فيصبح حشرة تطوف حول كل ما انتشرت ريحه، عابدة لهواها، تبصر الواقع على غير وجهه، ولذلك امرنا الله تعالى في قوله: وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقدعوا معهم حتى يخضوا في حديث غيره. النساء 140, فان القلب ماسمي قلبا الا لشدة تقلبه وسهولة ميوله وانحرافه.

وكما ان السماع والانحراف باهل الفساد يفسد، فان السماع والانحراف باهل الصلاح يصلح، كما قال تعالى : وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون.

وقص على ذلك في كل مجال، فمن شاء فصاحة أكثر الاصناف  
ومجالست أهل الأدب واللغة، ومن شاء هداية أكثر من سماع محاضرات  
العلماء الربانيين وحضور مجالسهم ومخالطة أخيار تلامذتهم، ومن أراد  
ضياعاً لدنيه ودنياه، وعقله وفؤاده، وانحراف فكره وتعفن خلقه فليلزم  
محالسة عامة الحمقى والجهال، ولن يلاحظ سوء مجالسته لهم إلا بعد  
ضياع عمره وفناء جسده وتدمي فكره ووعيه، فلا منقد له من بعد ذلك  
إلى إذا بعث الله له من ينير بصيرته رحمة من لدنه.

هذا والله أعلم وادرى

## الباب الخامس التوبة

المنهج المتبوع والالفهرس:

رتبت هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء أساسية، تتفرع منها أبواب وفصوص

عدة

- أ- التأسيس: وفيه بيان الأصول العقدية التي لا يستقيم قلب مرء إلا بها.
- ب- المعرقلات: وفيه ذكر العوائق والعقبات التي تعترض العبد في سيره إلى الله.
- ت- المسبيات: وفيه بيان الأعمال الموجبة لحبة الله ورضاه، والأعمال والأحوال الموجبة لغضبه وسخطه .